الدرس (٠١٥) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الصبر مقام عظيم من مقامات الدين الرفيعة، وقد جاء في فضله أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نزال مع الأحاديث التي ساقها النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في باب الصبر، حيث أورد رحمه الله عدداً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المبينة لمكانة الصبر العظيمة ومنزلته العلية.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٣١- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**»، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا**».

هذا حديث عظيمٌ في الصَّبر على المصيبة؛ **لأنَّ الصَّبر أنواعٌ ثلاثة:** صبرٌ على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة.

ففي هذا الحديث قصَّة هذه المرأة الَّتِي مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بها، وهي تبكي عند قبرٍ، وجاء في روايةٍ للحديث عند مسلم: «**تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا**» أي: ولد لها تُوُفِّي صغيرًا، فكانت تأتي عند

---

(١) رواه البخاريُّ (١٢٥٢)، ومسلم (٩٢٦).

قبره وتبكي على مصابها، فلمَّا مرَّ بها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي» منبِّهًا لها أنَّ هذا الجلوس عند القبر والبكاء، ممَّا يتنافى مع الصَّبر، فقال: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي» أي: عليك أن تتحَلَّي بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تتجملي بالصَّبر، محتسبةً في ذلك الأجر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقالت المرأة: «إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي» وهذا أيضًا يستفاد منه: أنَّ الدَّاعي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يعرض له من بعض النَّاس كلماتٌ أو ردٌّ قد لا يكون لائقًا، فعليه أن يتعامل مع المَدْعُوِّين بالرَّحمة واللُّطف، كما هو خلق نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهذه المرأة لـمَّا ردَّت هذا الرَّدَّ وقالت للنبي عليه الصلاة والسلام: «إِلَيْكَ عَنِّي» أي: انصرف عنِّي ودعني واتركني، وليس هذا بالجواب اللَّائق والمناسب لمَن يدعو إلى الخير وإلى الحقِّ، وليس أيضًا بالمناسب لـمقام النَّبِيِّ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فقابل ذلك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالحلم والرَّحمة، قالت: «فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي» أي: لـم تصب بـمثل هذه المصيبة الَّتِي أنا مصابة بها بفقدي لولدي، وعندما كانت تخاطبه هذا الخطاب ما كانت تعرف أنَّه هو نبيُّ الله صلوات الله وسلامه عليه.

فلـمَّا مضى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قيل لها: إنَّه النَّبِيُّ ﷺ، أي: مَن كنتِ تخاطبينه بذلك هو نبيُّ الله ﷺ، فأتت باب النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أي: جاءت معتذرة عن جوابها الَّذِي صدر منها، والَّذِي لا يليق بـمقام النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

«فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ» وهذا أيضًا ممَّا يُبيِّن المكانة العظيمة الَّتِي كان عليها النَّبِيُّ ﷺ مع منزلته العالية، ودرجته الرَّفيعة، كان يسكن في بيتٍ مُتَواضع، وفي حُجراتٍ متواضعة مع أزواجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يكن لتلك الحجرات بوَّابون، أو حرسٌ، أو حُجَّاب، أو نحوُ ذلك.

«فَقَالَتْ -معتذرة-: لَمْ أَعْرِفْكَ» أي: لم أعرفك -عندما أجبتك بذلك الجواب- أنَّك أنت رسول الله ﷺ، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى».

وهذه قاعدة ثمينة عظيمة في باب الصَّبر على المصائب، ينبغي للمسلم أن ينتبه لها ألا وهي:

أنَّ الصَّبر -أي: المعتبر، المثاب عليه- عند الصَّدمة الأولى، عندما يُبْتلى الإنسان بالمصاب

أول ما يبتلى به، أمَّا الصَّبر الَّذِي يأتي فيما بعد الصِّدمة بيوم أو يومين، أو أسبوع أو أسبوعين، فهذا في الحقيقة ليس من الصَّبر، وإنَّما هو من السُلُوِّ الَّذِي يحصل لكُلِّ إنسان، قال الأشعث بن قيس: «إنَّك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا وإلَّا سلوت سُلُوَّ البهائم»[٢]، فإنَّ البهيمة عندما تفقد مثلًا وليدها فإنَّها وقت فقدها له تتأثَّر لذلك، ثمَّ بعد ذلك تنشغل بالأكل والحركة وتنسى ذلك، فمَن لم يصبر عند الصَّدمة الأولى؛ سلى سُلُوَّ البهائم، فالَّذِي يليق بالمسلم، وبمقامه ومكانته، أن يجاهد نفسه من أوَّل وهلةٍ يصاب فيها بمصاب، على التَّحلِّي بالصَّبر، فالصَّبر عند الصَّدمة الأولى.

وقوله هنا: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ**» الأسلوب هنا من أساليب الحصر، إنَّما الصَّبر، أي: على المصاب يكون عند الصَّدمة الأولى، أمَّا بعد ذلك، فهذا ليس هو الصَّبر الَّذِي ينبغي أن يكون عليه المسلم.

قال أبو عبيد: «معناه أنَّ كُلَّ ذي رزيَّة فإن قصاراه الصَّبر، ولكنَّه إنَّما يحمد على صبره عند حدَّة المصيبة وحرارتها»[٣].

فأمر ﷺ المصاب بأنفع الأمور له وهو الصَّبر والاحتساب؛ فإنَّ ذلك يُخَفِّف مصيبته ويعظم أجره وأمَّا الجزع والتَّسخُّط والتَّشكِّي فإنَّه يزيد في المصيبة ويذهب الأجر.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٣٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ**» رواه البخاريُّ[٤].

هذا الحديث من الأحاديث المُتَعَلِّقة بالصبر عند المصاب، والعبد عرضة في هذه الحياة للابتلاء بأنواع من المصائب، إمَّا بفقد محبوبٍ، أو وجود مرهوبٍ، فيبتلى بهذا وهذا، وقد

---

(٢) رواه محمَّد بن حمدون في التَّذكرة الحمدونيَّة (٥٢٠).

(٣) انظر: عدة الصَّابرين لابن القيِّم (ص١٣٨ - ١٣٩).

(٤) رواه البخاريُّ (٦٤٢٤).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥]، فالعبد عرضة للابتلاء، والواجب عليه أن يروِّض نفسه على الصَّبر عند الابتلاء، وقد تقدَّم معنا في حديث أنس رضي الله عنه أنَّ الصَّبر المحمود شرطه أن يكون عند الصَّدمة الأولى، أمَّا بعد الصَّدمة الأولى، فإن الإنسان سيسلو بطبعه، وينسى ذلك المصاب، وينشغل بأمور حياته، فالصَّبر المعتبر المأجور عليه صاحبه، إنما يكون عند الصَّدمة الأولى.

ولنتنبَّه إلى أنَّ المصيبة نفسها ليست هي الَّتِي يؤجر عليها العبد؛ لأنَّها ليست من كسبه ولا من عمله، وإنَّما يؤجر العبد على عمله هو الَّذِي يقوم به عند المصاب، فليحذر أن يُفوِّت على نفسه عند المصاب الفوز بثواب العبوديَّة الَّتِي تكون عند المصاب، وهي الصَّبر والاحتساب، وتقوى الله جَلَّوَعَلَا.

فالمرأة في الحديث الأوَّل قال لها النبي عليه الصلاة والسلام: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي» حثَّها على هذا العمل الصَّالح الَّذِي إن قامت به؛ أثابها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وفي حديث أبي هريرة هذا وهو حديث قدسيٌّ قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: «مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ» فالاحتساب عمل للعبد يثاب عليه، والثَّواب جنَّات النَّعيم، أمَّا قبض صفيِّ العبد هذا ليس من عمله، هذا أمر قُدِّر على العبد، وكتبه الله عليه، وما كتب الله كان، فإذا احتسبه، أي: تحلَّى بالاحتساب احتسب أجر ذلك وثوابه عند الله؛ كان ثوابه على ذلك الجنَّة.

وقوله في الحديث: «مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ» قيَّد حصول هذا الثَّواب بالإيمان، وفيه فائدة، وهي: أنَّ غير المؤمن لا يثاب على أعماله، وإن كانت صالحة، لأنَّ وجود الإيمان أساسٌ لقبول الأعمال، والانتفاع بها، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩]، أي: أنَّ السَّعي لا يكون مشكورًا إلَّا إذا كان صاحبه مؤمنًا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وبما أمر عباده بالإيمان به، ولهذا قال هنا: «مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ».

و«صَفِيَّهُ» أي: الحبيب المصافي، سواءٌ كان والدًا أو والدةً أو أخًا أو ابنًا -كما في الحديث المُتَقَدِّم في قصَّة المرأة- أو صديقًا، وكلُّ مَن يُحبُّه الإنسان.

قال: «إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ» هذا هو فعل العبد الَّذِي يؤجر عليه: الاحتساب فيما حصل له من مصاب، فيتلقَّى المصيبة بالصَّبر، واحتساب أجر ذلك عند الله، فمَن كان كذلك، ليس له ثوابٌ إلَّا الجنَّة، وفي الآية المُتَقَدِّمة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وممَّا ورد في الباب ما رواه التِّرمذيُّ عَنْ أَبِي سِنَانٍ، قَالَ: دَفَنْتُ ابْنِي سِنَانًا، وَأَبُو طَلْحَةَ الخَوْلَانِيُّ جَالِسٌ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا أَبَا سِنَانٍ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْزَبٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**»(٥).

وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، عَنْ مَوْلًى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ**»(٦).

فاشترط في الحديثين لنيل الثَّواب الحمدَ والاسترجاع والاحتساب.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

---

(٥) رواه التِّرمذيُّ (١٠٢١)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٥٦٦٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٢٨١٧).

٣٣- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ؟ فَأَخْبَرَهَا: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(٧).

وهذا الحديث أيضًا فيه الصَّبر على المصاب، ولا سيَّما عندما يصاب الإنسان في بدنه بالأمراض والأسقام والأوجاع، وخاصَّةً هذا المرض الخطير، الَّذِي هو الطَّاعون.

والطَّاعون: مرضٌ يصيب بدن الإنسان، فيكون في البدن بثور، وتورُّمات، وارتفاع في الحرارة، وتقيُّؤ مستمرٌّ، وفي الغالب أنَّه يُؤَدِّي بعد أتعاب شديدة إلى وفاة الإنسان، فهو مرض من أشدِّ ما يكون في الأمراض الَّتِي يصاب بها العبد.

وقد أخبر نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنَّ هذا المرض كان في الأمم الَّتِي قبلنا عذابًا يبعثه الله على مَن يشاء، أي: يُعَذِّب به الظَّلمة والطُّغاة، وأهل الخبث والشَّرِّ، يبعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم ذلك المرض عذابًا يُعَذِّبهم به في الدُّنيا عذابًا معجَّلًا، وعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَجَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» أي: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أكرم أُمَّة الإسلام، أُمَّة محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بأن جعله رحمةً لهم.

ووجه كونه رحمة: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا ابتلاهم به، وتلقَّوا ذلك بالصَّبر والاحتساب، والعلم بأنَّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وأنَّ ما شاء الله كان؛ كان مصابهم ذلك ممحِّصًا لهم، ومطهِّرًا لهم، ومنقِّيًا من أدران الذُّنوب والمعاصي والآثام الَّتِي قد وقعوا فيها، فيكون هذا الوباء فيه التَّمحيص، والمصائب كفَّارات، والنَّبِيُّ ﷺ قال لذلك الرَّجل المريض: «**طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٨)، أي: مُطهِّر لك، فمن هذا الوجه يكون هذا المرض الشَّديد رحمة للمؤمن؛

---

(٧) رواه البخاريُّ (٣٤٧٤).

(٨) رواه البخاريُّ (٣٦١٦).

لأنَّ المؤمن يتلقَّاه بالصَّبر والاحتساب، فيتمحَّص ويتطهَّر ويتنقَّى بهذا المرض من أدران الذُّنوب والمعاصي.

قال: « فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» وهذا فيه تنبيه! إلى أنَّ البلد إذا نزل به هذا الوباء، فإنَّ الواجب على الإنسان أن يبقى فيه، ولا يجوز له أن يخرج منه فرارًا من هذا الوباء، بل يبقى في البلد، وأمَّا مَن هم خارجه، إن سمعوا بأنَّ فيه هذا الوباء، فلا يدخلونه، فقد جاء في صحيح البخاريِّ: أنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ** -أي: الطَّاعون- **بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**»(٩).

وحديث عائشة رضي الله عنها هذا، فيه الحثُّ على المكث في البلد، وعدم الخروج منه.

وهذا أيضًا فيه فائدة: ما يعرف في هذا الزَّمان بالحجر الصِّحِّيِّ، عندما يكون الإنسان مصابًا بالأوبئة المعدية، فيُجْعل في مكان خاصٍّ، ولا يخالط الأصحَّاء، فلربَّما انتقلت العدوى إليهم بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «**فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا**» فيه ما سبق التَّنبيه عليه، وهو: أنَّ المصيبة نفسها ليست من فعل العبد، وإنَّما هي أمرٌ يُقَدِّره الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عبده، فالثَّواب لا يكون على مجرَّد المصاب، وإنَّما على فعل العبد المُتَرَتِّب على المصاب، فالمصاب نوع ابتلاء، فما يكون من العبد في هذا الابتلاء من عمل صالح هو الَّذِي يثاب عليه من صبرٍ واحتسابٍ وتقوى لله عَزَّوَجَلَّ، وعلمٍ بأنَّ ما أصابه أمرٌ مقدَّر، كما قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التَّغابن:١١]، أي: أنَّ المسلم يعلم أنَّ المصيبة من عند الله فيرضى ويسلِّم.

---

(٩) رواه البخاريُّ (٣٤٧٣).

قال: «فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا» صابرًا أي: على ما أصابه، محتسبًا أي: أجر ذلك وثوابه عند الله.

«يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ» فهذه ثلاثة أمور: صبْرٌ، واحتساب، وإيمان بأنَّ ما أصابه أمرٌ مُقَدَّرٌ ومكتوب، لا مناص عنه ولا مفرَّ منه، فما شاء الله كان، ولا بُدَّ أن يقع طبقًا لما شاء، فمَن جمع هذه الأمور في هذا الابتلاء، كان أجره مثل أجر الشَّهيد، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ».

فيكون أجره وثوابه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كأجر الشَّهيد، فهذا الَّذِي مات بالطَّاعون، وتلقَّى هذا المصاب بالصَّبر، أجره كأجر الشَّهيد، أي: له ثواب الشَّهيد في الدَّار الآخرة، أمَّا في الدُّنيا فإنَّه لا يعامل من حيث الأحكام كمعاملة شهيد المعركة، فشهيد المعركة كما هو معلوم لا يُغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّى عليه، أمَّا هذا النَّوع من الشُّهداء: الشَّهيد بالطَّاعون، أو بالحريق أو غير ذلك، فإنَّه له أجر الشَّهيد، لكنه لا يأخذ أحكام الشَّهيد في الدُّنيا، وسيأتي عند المُصَنِّف رحمه الله لاحقًا بابٌ في أنواع الشُّهداء، وبيان الأحكام المُتَعَلِّقة بهم.

ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا، وأن يزيدنا علمـًا وتوفيقـًا، وأن يوفقنا لكل خير؛ إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.